مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد11 / العدد: 02 (2023)، ص: 36-56

إستشراف المستقبل في منظور إدغار موران

Foresight the future from the perspective of Edgar Morin

قوجيل خالد[1]، باجي أحمد[2]

[1] مخبر مجتمع – تربية – عمل، جامعة تيزي وزو (الجزائر)،

khaled.goudjil@ummto.dz

[2] مخبر: مجتمع – تربية – عمل، جامعة تيزي وزو (الجزائر)،

Ahmed.badji@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/01 تاريخ القبول: 2023/07/31 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية المستقبل في مشروع إدغار موران، هذا الأخير أرسى إعتراضات على المنهجية التي قدمها المستشرفون لرسم معالم المستقبل والتي تنطلق من معادلة أساسية مفادها؛ الماضي معلوم والحاضر معلوم، فيمكن لنا أن نرسم مستقبل معلوم، هذه الصيغة رفضها موران وشرع في بلورة صياغة جديدة تتمحور حول تداول في المعرفة بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والمستقبل، فالنموذج المعرفي الذي صاغه الفيلسوف الفرنسي تداولي وليس خطي.

إن هذا الرسم الموراني الذي قعّد له إستوجب تطبيقه في النظم المعرفية التي شكلت مشروعه الفكري الإنساني، ولعل أبرز تلك النظم تتمثّل في التربية والديمقراطية اللذان إقترحناهما كأنموذجين فكريين لصياغة فكرة إستشراف المستقبل ، ونجد أن موران إضطلع في بيان أن المستقبل هو الرهان الذي إستوجب أن نخطو إليه لإنقاذ الإنسانية.

كلمات مفتاحية: المستقبل، الإستشراف، المعرفة، مستقبل الديمقراطية، مستقبل التربية.

This study aims to demonstrate the importance of the future in Edgar Morin's project, Morin objected to the methodology presented by futurists for drawing the outlines of the future, which is based on a basic equation that state: the past is known, the present is known, so we can draw a known future, Morin rejected this formula, and began to formulate a new approach centered around knowledge exchange between the past and present, and between the present and future, the cognitive model formulated by the Morin is dialogical rather than linear.

This Morinian approach, required its application in cognitive systeme that formed his intellectual project, the most prominent of these systeme are education and democracy, which we proposed as two intellectual models for formulating the idea of future, we find that Morin emphasized that the future is a bet that requires us to move it to save humanity.

Keywords: future, foresighte, knowledge, future of Education, future of democracy.

1. مقدمة

ماذا يعني أن نستشرف المستقبل اليوم؟ إن تساؤلا من هذا القبيل بات نوعا من المعاندة المنهجية والمعرفية، ونحن نعيش في حقبة بات فيها اليقين ضربا من الخيال، إن الجرأة التي تحلى بها إدغار موران لغرض إستشراف المستقبل كانت المسلك الذي إرتأيناه مناسبا لبلورة هذه المقابسة وهذا لغرض الكشف عن طبيعة السياق الذي أتى به موران لطرح مسألة المستقبل، هذه المسألة التي رانت إليه وتداولها منذ سبعينيات القرن المنصرم، بيد أن المتصفح لما كتبه إنما يجد بلا موارية ما صاغه في الفصل الثالث من كتاب 1981 من أجل الخروج من القرن العشرين الموسوم ب "إلى أين يسير العالم" قفزة صارمة لهذا الجنس، الدراسات المستقبلية بوصفها متجها تنحو إليه متونه، وهذا الطريق قطعه موران في تدبير مصير الإنسان، بيد أن هذا العكوف الموراني لم يكن وليد الصدفة، إنما كانت

جهودا فكرية صرفها موران لرصد وجهة العلم، وسعي حثيث لإرتسام مثالبه ووأد جبروته، وإعلان حالة الطوارئ من مآلات الأداتية، إنكّب موران على إستئناف مشاريع إنسانية يستشرف فيها مستقبل البشرية التي إستحالت إلى أزمات، إهتدى في مشروعه إلى بيان أهمية المستقبل والإنزياح الصريح من السؤال: ما مستقبل الفلسفة؟ إلى السؤال: كيف للفلسفة أن تقرأ المستقبل؟ هذا التغيير في منحى الفلسفة أردفه سؤال جذري آخر وهو كيف نفكر في سؤال التغيير؟ هذه التساؤلات التي فرضت نفسها على الفلاسفة وباتت راهنا لا مناص منه وهو ما عرج إليه تشومسكي (العالم إلى أين؟) وهانس جوناس إتيقا المستقبل في ظل العصر النووي أو التكنولوجيات الفائقة، وإميل سيوران المستقبل بوصفه يوتوبيا سوداء، ويورغن هابرماس مستقبل الطبيعة البشرية .

- إن غرضنا هاهنا أن نمتحن هذه المقاربة من جهتين، الأولى كيف إرتسم إدغار موران الطريق السديد لبلورة المنهج الصواب لإستشراف المستقبل؟ إن تساؤلا كهذا بات يفرض نفسه علينا خاصة وأن الدراسات المستقبل ليست وليدة اليوم فنريد تبيان المسار الذي قام به موران لإيضاح المنهجية الملائمة للإستشراف، ومن جهة ثانية: ماهي الملامح التي إستقر عليها موران لإستشراف المستقبل؟ فهاهنا إنطلقنا في عرض نموذجي التربية والديمقراطية كصيغتين فكريتين لعملية إستشراف المستقبل .

من أجل ذلك بدا لنا أن دراسة -الدراسات المستقبلية- سيكون كفيلا للولوج إلى فكر الفيلسوف على وجهه الملائم، إذا ما وضعنا في الحسبان مرتكزاته الفكرية التي إتكئ عليها وقعّد بها لفكره، في ضوء ذلك سنسترسل في إيضاح هذه المقابسة ورسم خيوط معالمها من خلال إقتراح ما يلي:

أن الدراسات المستقبلية هي صيغة فكرية تستأهل البحث الفلسفي الجدي الذي دأب فيه وكان صيغة موازية في مشروعه الفكري -منهج التعقيد- الذي

إرتسمه منذ أواخر السبعينات من القرن المنصرم إلى يوم الناس هذا؛ متكئا على التمحورات العلمية المعاصرة التي يمكن صياغتها على أنها الأفق الإشكالي الرصين الذي قعّد به مشروع التعقيد والإفتراض الثاني أن المنهجية التي إستعان بها المستشرفون لم تعد تفي بالغرض ومن أجل ذلك يستوجب إمتشاق منهجية معرفية للتطرق إلى المستقبل.أما الإفتراض الثالث الذي قعّدنا به لمقابستنا فهو أن التربية والديمقراطية في حالة أزمة ويستوجب تطبيبهما

أما الغاية الكبرى التي يصبو إليها مقالنا فهو الوصول مع موران إلى التأسيس الفعلي للمنهجية الملائمة لإستشراف مستقبل الإنسانية الذي أدركته الأزمة المتغلغلة في كل النظم المعرفية متكئين على تحليل متونه في هذا الصدد.

2. تكشيف إستشراف المستقبل، أو تذليل المنهجية

1.2 ماهية الدراسات المستقبلية

كان المستقبل لوقت طويل الممكن الذي لم يأتي بعد، وهو الأمل في الغد أو الخوف والتوجّس منه، والمتطلع في تاريخ الفكر سيجد أن الفكر مليء بهذا الجنس المعرفي الذي لم يتبلور إلا في القرن العشرين، ولعل أفلاطون يعتبر أول من بقر هذه الدراسات، وهذا التدشين برز في الكتاب الرابع من الجمهورية حين فتح إمكانية إستشراف مستقبل الدولة فالسياق، الذي رسمه هاهنا "إشتمل على السمات والصفات التي يستوجب أن يثويها الحاكم والمسلك الذي يستوجب أن يسلكه لغرض تولي الحكم"**(Lycos, 1987, p. 106)** ، وتعتبر مسألة الزمانية التي إنشغل بها القديس أوغسطين سواء في الفصل الحادي عشر من الإعترافات أو في متنه مدينة الله بوابة لنمتشق منها مسألة المستقبل، فالتحديد الظريف للتحوّل الذي رسمه من الزمن الثلاثي "ماضي حاضر مستقبل" إلى الزمن الثلاثي "حاضر الماضي حاضر الحاضر وحاضر المستقبل" هذا الإنزياح الذي رسمه نحو الغرض الديني المسيحي واضعا أسسا دينية للمستقبل مرتبطا بجوهر العقيدة

المسيحية "الإنتظار" ولا إلتباس في القول أن المعنى هاهنا هو إنتظار مجيء السيد المسيح في المستقبل، ومن أجل تفكيك مفهوم المستقبل عند القديس أوغسطين الذي أسس ما يسمى بالزمانية التي إنشغل بها فيما بعد باسكال ومتتالية هوسرل هيدغر وريكور، إستوجب إستحضار كتاب "مدينة الله والردود التي قدمها على فورفوريوس الذي إتهم المسيحية بالوهن" **(vezzey, 2012, p. 16)** أما فرنسيس بيكون والذي صاغ مدينته الفاضلة "أطلنطا الجديدة" فبيّن الدور الحاسم الذي سيلعبه العلم والعلماء في أطلنطا ومدى متانة المنهج التجريبي، ولعل "السياق الذي رسمه بيكون واتكئ عليه كان يوتوبيا توماس مور الذي إعتبره أنموذجا"، أطلنطا التي خطها بيكون مدينة تطبب كل الجروح التي يعتاشها الإنسان ، ولعل التخصيص الذي قدمته أطلنطا بيكون يكون مفتاحا للولوج إلى حكم التكنوقراطية فيما بعد، رسم بيكون في عمله هذا الذي لم يكتمل "جزيرة يوجد فيها بيت سليمان، وهو دراسة مخصصة لدراسة أعمال الله ومخلوقاته وتأملها، لقد أبلغ بيكون أن غرض وجودنا هو معرفة العلل والحركات والفضائل الداخلية في الطبيعة" (كوبلستون، 2013، صفحة 423)،إن المقالة التي قدمها إيمانويل كانط 1795 والمعنونة: من أجل السلام الدائم، التي شكّلت الدعامة الأساسية لبلورة الفكر المستقبلي الذي إرتسمت خيوطه الأخيرة بهذه المقالة، فقد عمد على إخراج سؤال المستقبل من الدائرة الدينية إلى شكلها الحياتي، بعد أن كانت الدراسات منكمشة في الصياغة الدينية منذ أوغسطين، عكف كانط هاهنا إحتراف مساءلة مستقبل البشرية وإستكمال الطريق الذي سلكه لوك وروسو، يهبنا ماركس كشفا صريحا عن المستقبل وكيف قبض على مفهومه النهائي، ورسم خيوط اليوتوبيا التي حددها في تفسيره للتاريخ ففي كراسته الصغيرة، أطروحات حول فوبرباخ أدرج في الأطروحة الحادية عشر "إن الفلاسفة لم يفعلوا غير أن

فسروا العالم بأشكال مختلفة ولكن المهمة تتقوّم في تغييره" (إنجلز، صفحة 48)

.

-إنه حقيق علينا أن نتبين الصيغة النهائية للمفهوم لهذا الجنس المعرفي، لغرض التكشيف عن الماهية الحقيقية للإستشراف وغرضنا هاهنا هو إرتسام طبيعة هذا النوع، فساقتنا إلى محاولة تبيان جوهرها فكان التساؤل الذي لا مناص منه: هل الدراسات المستقبلية عبارة عن فن أم علم؟ إن تساؤلا من هذا القبيل كان لا بد منه لغرض إقتناص المعنى الكامل لماهيته، ولعل الإشارة التي قدمها عالم المستقبليات الأمريكي ويندل بيل **Wendell Bell** حول التباين بين إستعمال الدراسات المستقبلية بين العلمية وإستعماله كفن حيث لم يتفق رواد هذا الجنس حول طبيعتها بيد أنه إستقر الغالبية على: "أكد الكثيرون من رواد الحقل من أمثال دي بل، لاسويل، وجوفنيل على أن الدراسات المستقبلية لا تؤهلها لأن تصبح علما"**(bell, 2009, p. 169)** فهي فن أكثر ماهي علما، ويشير الباحث ضياء الدين زاهر إلى أن الدراسات المستقبلية تخصص علمي يهتم بسقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات والسياسات في مختلف مجالات السلوك الإنساني "والغرض من هذا التخصص مساعدة صناع القرار وصانعي السياسات أن يختاروا بحكمة في إطار أغراضهم وقيمهم من بين البدائل المتاحة للفعل في زمن معين" (زاهر، 2004، صفحة 51) فهذه الدراسات تُعنى بالنظر إلى المدى المأمول والمحتمل، ويبدو أن الدراسات المستقبلية ليست التنبؤ بالمستقبل، لأن التنبؤ هو إدعاء بإمتلاك صورة تامة وواضحة، أو هي علم يقيني بالمستقبل، وهذا ما لا يمكن الأخذ به.

2.2 إمتشاق موران للدراسات المستقبلية

إن الأمر يتعلق الآن بمباحثة حول مسألة المستقبل لدى إدغار موران لم تتولد دفعة واحدة عند بلورة مشروعه الفكري، منذ أواخر ستينات القرن

المنصرم، بيد أن المسألة إنكشفت بعد طرحه كراسة الأزمة 1976، ليردفه بالجزء الأول من موسوعة المنهج الموسومة بطبيعة الطبيعة 1977، إن هاذين المؤلفين كان لهما الدور الحاسم في إنبثاق المشروع الموراني، لذلك سوف نهتم إهتماما خاصا به –موران- في هذه الحقبة، التي إنبرى فيها لتغوّل الآداتية وطفق يحترف نوع جديدا من الكتابة تعبّر فيه عن الأزمة الإنسانية كما أشار إلى ذلك في كتابه 1981، حيث أشار "أزمة الإنسان الذي مازال عاجزا عن التحقق كإنسان" (موران، 2009، صفحة 46) عكف موران على بلورة ثقافة العيش المشترك، باعتبارها الرهان الذي يستوجب الوصول إليه والإتكاء عليه، إن النتيجة العامة التي توصّل إليها موران نستصيغ أن نعبر عنها في القضية التالية: "إن الخطر يدهمنا"، وبالنظر إلى غرض موران نحن نجد أنه قد خلص إلى نتيجتين لافتتين للنظر في مشروعه،النتيجة الأولى هي ضرورة الإشارة للخطر الذي أولجتنا فيه التقانة وجه الخطورة في هذا التنبيه إلى أن الأمر بات يتعلق ليس بنهاية نرى ثمارها في المستقبل، بل غدت على وشك أن تدهمنا في الوقت الحاضر أما النتيجة الثانية التي أشار إليها موران وهي أن التقانة التي أضاءت الظلام لم تقدر أن تضيء الظلام الداخلي، هذه النتيجة بمثابة الصياغة الإبتدائية الحاسمة التي هيأت لإمتشاق موران للدراسات.

إن موران يفتتح الإشتغال بالدراسات المستقبلية بإستلال الفلسفات التي تنبأت بالمستقبل ورسم مواقع الزلل التي وقعت فيها، إن وجه الإعراض الذي قدّمه إنطلق من اعتقاد المستشرفين "أن الماضي معلوم علما يقينيا وأن الحاضر معلوم بطبعه، وأن أساس مجتمعاتنا ثابت، وأن المستقبل سيبنى داخل هذه الأسس المتينة" (موران، 2009، صفحة 9) إن هذه الإبانة التي إتكئ عليها المستشرفون أولجتهم في شكل من الطوباوية بحيث لم تنجلي النتائج التي إبتغاها هؤلاء، وشيدوا مستقبلا خياليا لا وجود له، ذلك أنهم لم يضعوا

اليد المناسبة على الجرح وصاغوا المستقبل انطلاقا من الحاضر كما وسمه "المسمن بالهرمونات" أي بوصفه واقعا متغيرا لا ثابت، فقعّدوا للحاضر على أنه المستقبل، إن المتصفح للكتاب يجد الاستشهاد الذي استوحاه موران من المهندس الفرنسي روبرت جيبر الذي افترض أن الخبراء أخطأوا بانتظام منذ عشرين عاما، فالعملية الإستشرافية كما يصر ليست عملية خطية كما تم ارتسامها، بيد أن التساؤل الذي لا مناص منه هاهنا والذي سنفكر فيه مع موران كيف سنفكر في المستقبل؟ أو كيف سنبني نظرتنا المستقبلية؟ إن تساؤلا من هذا القبيل سيجعلنا نتدرج في هذه المباحثة بحيث يعمد موران إلى تثبيت مفهومه للدراسات المستقبلية، حيث أقر أن هناك تداول في المعرفة بين الماضي والحاضر، فالمعرفة نوع من التقابلية بحيث نعرف الحاضر بالماضي، كما نعرف الماضي بالحاضر، فوجه العلاقة تبادلية بينهما يقول موران "والواقع أن هناك دائما عملية تفاعل تبادلي بين الماضي والحاضر، حيث أن الماضي لن يساهم في معرفة الحاضر فحسب، وهو أمر بديهي بل إن تجارب الحاضر تساهم في معرفة الماضي، ومن هنا نعمل على تغييره" (موران، 2009، صفحة 10) فعلى هذ الأساس تصبح المعادلة المورانية تنتقل من الصياغة المعروفة سلفا والتي تقرب:

ماضي معلوم حاضر معلوم مستقبل يمكن التنبؤ به

إلى الخطاطة التالية:

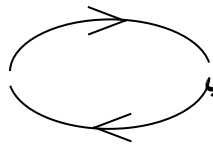

إن المتأمل في هذه الإشارة سيتساءل: كيف يمكن لنا أن نغير الماضي؟ إن تساؤلا مثل هذا وجيه إلى الحد الذي يمكن لنا فيه الإشارة إلى الرؤية المورانية

التي توسعت في هذ الصدد بشكلها الملائم، عكف من أجل أن يبرز موقفه إلى العودة إلى تاريخ الثورة الفرنسية، فالمؤرخ الذي ينظر بنظرة ثاقبة للأحداث التي وقعت ما بين 1787-1788، يمكن أن يتنبأ بشكل واضح الإنفجار اللاحق ويشير "وهكذا يكتسي الماضي معناه إنطلاقا من النظرة البعدية التي تمنحه معنى التاريخ، وذاك هو مصدر التبرير الدائم واللاشعوري الذي يدرج الصدف تحت غطاء الضرورات، ويحوّل اللامتوقع إلى أمر قابل للوقوع ويقضي على الممكن الذي لم يتحقق لصالح حتمية حصول ما حدث" (موران، 2009، صفحة 10) إن هذه المقاربة المورانية التي تنطلق من معرفة الماضي معرفة تمكننا من بلورة الأحداث التي أعقبتها، يهيء لنا معرفة الحاضر بدقة، فوجه المفارقة الذي سقط فيه المستشرفون كان عدم الإلمام بمعرفة الحاضر، فنلفى أن معرفة الماضي معرفة جادة ترسم لنا بصورة نموذجية معرفة الحاضر بصورة أوضح، بيد أننا سنطرح مع موران تساؤلا فرض نفسه: هل ينطلق مستشرفوا المستقبل من معرفة الماضي؟ سنجد أنفسنا نجيب مع موران بالنفي، فالمنطلق الذي ينطلق منه المستشرفون كان محاولة معرفة المستقبل فقط لأن الحاضر معلوم والماضي معلوم في معادلة خطية مستمرة. بيد أن موران تحاشى السقوط في هذه المفارقة ووجد أن إكتشاف ثغرات الماضي سيتيح لنا فحص ثغرات الحاضر التي غفلنا عنها، فهاهنا ستحيلنا إلى فك شفرة الماضي، فبيت القصيد هاهنا هو معرفة ثغرات الماضي وتطبيبها لغرض تجنب وقوعها في الحاضر، ثم إن معرفة الفجوات في الحاضر على شكلها الملائم ستؤدي بنا إلى معرفته، فالغرض الذي رسمه موران للتكشيف عن المستقبل أنه يتولد من الحاضر، فالرهان الموراني هاهنا هو الكشف على أن صعوبة التنبؤ بالمستقبل يتمخض من صعوبة معرفة الحاضر، فغرضه النهوض بتقديم منهجي يضبط العلاقة بين الحاضر والمستقبل، فكانت

الصياغة المورانية هي معرفة المستقبل تتبلور من معرفة الحاضر، ومعرفة الحاضر يمكن بلورته من التنبؤ الجيد بالمستقبل وعلى الأساس تصبح الخطاطة المورانية على الشكل التالي:

إن المباينة المورانية التي إستدلّ بها "لكن لا يكفي التفكير في الحاضر بشكل صحيح لكي نكون قادرين على إستشراف المستقبل، لكنها تتضمن بذورا مجهرية ستتبلوّر، لكنها الآن غير مرئية لأعيننا" (موران، 2009، صفحة 11) تكشف عن ضرب خطير من تبعية الحاضر للمستقبل، فهاهنا أيضا سنجد أنفسنا أمام سؤال لابد أن يفرض نفسه: كيف للمستقبل أن يبني الحاضر وهو لم يدرك؟ فهذه الفكرة التي كشف عنها موران في شكل تمثيلي، فالدول الغربية بعد 1950 لم تستشرف بالشكل المناسب أن الإقتصاد سيكون تابعا للبترول، هذا الأخير غدا تابعا للدول التي تراجعت تبعيتها للدول الغربية تدريجيا، فكانت النتيجة أن الدول الغربية غدت تابعة بشكل أو بآخر لتلك الدول التي أصبحت تتحكم في البترول [البترول تابعا لها]، فهذا المثال أحالنا إلى الطريقة النموذجية في تجذير التداول بين الحاضر والمستقبل، وكيف أن المستقبل غدا يرسم لنا صورا ملائمة عن الحاضر، فهذا التكشيف يحيلنا إلى أن الحاضر يرسم لنا خيوط المستقبل، كما أن المستقبل بشكل لنا الخيوط الهادية للحاضر، فهذا هو المسعى المورانى الذي أراد من خلاله النهوض بمنهجية مناسبة لإستشراف المستقبل بصياغة أكثر ضبطية إن ما يهمنا هاهنا بخاصة هو تبيان العلاقة المتبادلة بين الماضي والحاضر؛ التي تنجلي فيه أن ثغرات الماضي يمكن أن ترسم لنا الحاضر، كما أن معرفة الحاضر تمكننا من بلورة

ومعرفة الماضي بشكله الملائم لأنه يشكل الحاضر، فأي تغيير في الحاضر هو تغيير في الماضي، وعلى هذه الشاكلة تنكشف العلاقة بين الحاضر والمستقبل، فالمعرفة الملائمة للحاضر تكشف لنا الطريقة المناسبة للتنبؤ بالمستقبل، ورسم الخيوط المناسبة لذلك، كما أن إدراك المستقبل على شكله الملائم حتى وإن كان غير خاضع لإرادتنا أو ليس حاضرا أمام أعيننا سيرسم لنا الحاضر.

3.المستقبل في فكر إدغار موران

1.3التربية كأفق لإستشراف المستقبل

إن الأزمة من المفاهيم المركزية التي قدمها موران وإتكئ عليها في متونه، وجعل لها مقاما للتكشيف عن القضايا اليومية وقدّم في الكتاب الذي قدمه في 1976 "في مفهوم الأزمة" على إمكانية قيام العلم الأزمي كعلم مستقل يتغلغل في العلوم كما المنطق، إن الإبانة التي قدّمها في كتابه " إننا نؤمن بإمكانية وجدوى علم الأزمات وهو يجب أن يتضمن طريقة ملاحظة شبه سريرية" (موران، 2018، صفحة 77) والأزمة بالمعنى الموراني في الوضع الراهن هي كل ماليس على ما يرام أو بتعبيره "الأزمة هي تنامي الفوضى وغياب اليقين ضمن نظام ما وتنجم عن ذلك تجميد الألية التنظيمية وألية الضبط على وجه الخصوص" (موران، 2018، صفحة 26) لقد إضطلع موران في تبيان الحقيقة البيداغوجية المتأزمة ويعبر عن مدى تعقد الوضعية التعليمية خاصة بعد نهاية القرن التاسع عشر– حسب مقولة موران- "الثقافة والعلوم قد غادرت الموسوعية مثلما كانت في القرن التاسع عشر وخاصة منذ القرن العشرين نحت نحو ثقافة التخصص" (موران، 2020، صفحة 13) فالتحوّل الرهيب إلى ثقافة التخصّص أفقد الإنسان الشغف في تحصيل المعرفة، هذا المنحى التخصصي الذي أنتج أخطر نتيجة؛ وهي عدم مجابهة تطور المعرفة اليوم، المعرفة التي غدت تنتج هذا الكم الهائل من المعارف، توجّه موران إلى

الإنكباب لمساءلة هذا التوسّع المعرفي الذي تجاوز حدود القدرة البشرية، ينطلق موران في فحص نقطة مركزية أشكلت على المعرفة المعاصرة ولعلها النقطة التي أفاضت الكأس وهي الفصل بين العلوم العلمية والتقنية من جهة والعلوم الإنسانية فهذا الفصل الذي آلم المعرفة، ووجه الطرافة هاهنا أن موران وجه أصبع الإتهام بلا مواربة إلى رونيه ديكارت "صاغ ديكارت هذه المنظومة المسيطرة على الغرب عن طريق الفصل بين الذات المفكرة والشيء الممدود أي الفصل بين الفلسفة والعلم" (موران، 1999، صفحة 15) فالتوجه الموراني إلى الماضي كان واضحا لإرتسام معالم الأزمة التي فتكت بالتربية، ليس غرضنا عرض شامل لموضوعات هذا الدرس "أزمة التربية" كما عرضها موران في متونه التي إفتتحها منذ 1999 ونقصد هاهنا متنه العقل المحكم، رب عوائق تبلورت عن التربية يتضح أن العنف المدرسي كان التكشيف الصريح الذي قدمه موران وصاغه كحاضر يستصيغ لنا تحديده، ولعلنا نتكئ على متنه تعليم الحياة (2014) لنقعّد به هذا الوصف "عندما نتحدث عن أزمة التربية يتبادر إلى الذهن أولا الجوانب الجلية للفظ العنف المدرسي في كل معانيه، ثم نفكر في الصراع داخل الفصل" (موران، 2016، صفحة 55) فالشتيمة والإهانة والطرد من الفصل وغيرها من المشاكل التي نجدها بين المعلم والمتعلم أضرت بالتعليم وفي صياغة معنى التربية الحقيقي، هذه الأزمة باتت بشكل يومي في مؤسساتنا التربوية، كما أن المسلك الذي غدا المتعلمين يتوجهونه بات مقلقا فالفصل الصارخ بين المعارف التي يتلقاها من المعلم والتي يتلقاها من الأنترنت بات يشكل نوعا من الخطورة التي تستوجب إستبصارا لها، ولعل هذا الإشكال يطرح بشكل أوسع في الأوساط الجامعية على وجه الخصوص فالاضطرابات المتكررة، والهجر المتزايد للدروس والتعويل على Google و Wikipidia "لقد كانت وسائل الإعلام قبل الإنترنت وبصفة خاصة

التلفزة، مدارس متوحشة تنافس المدرسة العمومية، أما اليوم فإن الأنترنت هي الموسوعة التي تكون فيها المعارف كلها على ذمة الشاب المبحر الذي يقابل معرفته المتأتية من قوقل بتلك التي يقدمها له أستاذه" (موران، 2016، صفحة 57) فالطالب المعاصر بات مستغنيا عن كل ما يمكن أن يقدمه له الأستاذ، بيد أن التساؤل الذي لا مفر منه هاهنا كيف طرح موران مسألة تربية المستقبل؟ إستدعت التكشيف عن الحلول التي إقترحها للإفلات من عنق الأزمة التي ولجت التربية فيها، وحاولنا تعقب الطريق الذي سلكه في إشتغاله عن ايجاد هذه الحلول، بيد أن هذا المسلك المتوعر الذي ولجناه أوصلنا إلى التعبير بشكل أكثر جدية عن الحلول التي إرتآها موران، رب طريق إستحضرناه أتى إليه بعد التكشيف عن جوهر الأزمة التي تعاني منها التربية التي أولجتنا في غيابات التأزم، إن علينا أن نستبصر المنهج التعقيدي هاهنا ونخص بالذكر مبدأ الهولوغرامي الحواري والذي يتحدد من خلال المقاربة القضوية التالية [الجزء موجود في الكل، والكل أيضا موجود من بعض الوجوه في الأجزاء] على ضرورة وجوب العلاقة الحوارية بين المتعلمين والمعلمين، فمرام موران هاهنا كان واضحا فلسنا بحاجة للفهم فقط لكي نقيم العلاقة التربوية، بل يستوجب إدخال لغة الحوار إلى المدرسة بكونه الصيغة النهائية الذي اتكئ عليه موران فالإبانة التي أقرها في كتابه "لا بد أيضا أن نعزز قبل كل شيء أخلاقيات الفهم باعتبارها علاجا لأدواء التربية، ويكون ذلك عند المعلمين والمتعلمين وبكيفيات مختلفة" (موران، 2016، صفحة 78) ونحن نفحص الآن عن بنية الحوار التي عوّل عليها بأنها الآمارة المتوارية لكن الحاسمة في بلورة مستقبل التربية؛ فالإرتسام الحاضر والمستقبلي للحوار سيكون المنعرج في بلورة مستقبل التربية.

2.3 الديمقراطية المركبة كمستقبل سياسي واعد:

إن الغرض من هذا المطلب هو تحديد واقع الديمقراطية الذي أصبح مأزوما بحسب المفكر الفرنسي، بيد أنها غدت تتخفى وراء جلباب مصطلحات سياسية وعلمية سامية ما أسهم في نمو العلقم الذي تحمله، وما حاولنا تتبعه هاهنا هو: كيف تأزم هذا النظام السياسي؟ فالتطور العلمي والتقني كان له الدور الحاسم الذي قدّم لنا هذا التأزم الذي مزّق الحياة الإجتماعية والسياسية لدى الشعوب، الديمقراطية عند ادغار موران يسمها " بصفتها نظاما يتضمن التحكم بالمواطنين و فصل السلطات وتعددية الاراء، وصراع الافكار هي الدواء الشافي للسلطان المطلق لجهاز الدولة وجنون السلطة الشخصية " (موران، 2002، صفحة 98) فالديمقراطية إذن حالة سوية يكون الحكم فيها في يد الشعب، بحيث يكون للمواطنين الحق في المشاركة في السلطة، حيث يتم سحب السلطة من يد المستبد وتكون الممارسة السياسية مستقلة عن أي إكراه أو إلزام بل الممارسة السياسية تكون في يد المواطنين الأحرار وهم من لهم المسؤولية التامة في تقرير مصيرهم، لكن المتأمل في الديمقراطية المعاصرة يخلص إلى انها في أرض الواقع تعاني من أزمة خطيرة، وهذه التنبيه إلى تأزم الوضع الديمقراطي كان نتيجة حتمية للتقلبات الإنسانية وبزوغ الأنانية المفرطة والعنف والعصيان و... غيرها من المشكلات الإنسانية التي ساهمت بشكل أو بأخر في تأزم هذا الوضع، ومن الأسباب القاهرة كان طغيان البيروقراطية [تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظمة، وتعتمد هذه الأنظمة على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية وفقا للعلاقات الشخصية] ومن بين هذه النماذج البيروقراطية " تصدير نموذج الثكنة العسكرية إلى المؤسسات المدنية وتقوم بتأديب الأفراد وتخضعهم

لطريقة في الحياة تتسم بالانضباط والألية والنمطية وأصبح المواطنون يعملون وكأنهم جيش مدني " (موران، 2002، الصفحات 101-102) هذه الأزمة الكيانوية التي سادت الديمقراطية كنتيجة ضرورية لطغيان التوجه البرغماتي الأمريكي الذي فتك بالمشاعر وقضى على روح الوحدة والتضامن بين الأفراد والمجتمعات؛ كل هذه النتاجات الفعلية لصيرورة الفردانية التي حطمت كل أفق إنساني سامي هادف، لكن هذه العقبات التي تواجه الديمقراطية ليست عقبة نهائية أمام إنسانية الإنسانية، بل بالعكس من ذلك، يمكن قيام ديمقراطية حقة في وسط كل هذه التجاذبات رغم خطورتها، وهذا بإرساء فكر الإختلاف والاعتراف بالأخر وتغليب قيم التعدد والتسامح، وتسخير كل الآليات للتمثيل والتشاور، بحيث يتم إنشاء منهج إستقلالي يسمح بتمتع الأفراد بحقوقهم، وكذلك بإنعاش آمال الشباب بواقع أحسن –وليس عبر الخطابات التضليلية التي لا تتعدى سوى كونها بروباغاندا، فالديمقراطية لا تُحدد بطريقة بسيطة حيث تحتاج الديمقراطية إلى " توافق أغلب المواطنين واحترام القواعد الديمقراطية، وفي نفس الوقت تحتاج إلى التعددية وإلى نوع من الصراعات " (موران، 2002، صفحة 102) فبعد أن أبانت الحكومات الشمولانية أن التحكم بالنظم السياسية والتسيّد على القرارات والقوانين ومنح السؤدد المطلق للحاكم أو السلطان، وشرعنة كل القرارات وإعطائها القدسية اللازمة، وقتل روح التعدد، كل ذلك شكلت ملامح "التسلط والإستبداد والقهر"(Déri, 2013, p. 159) التي رافقت دول تاريخية عظيمة على مدى طويل من التاريخ، في حين أن الديمقراطية تحتاج إلى " صراع بين الأفكار والآراء، لأنها هي التي تضفي الحيوية والإنتاجية على الديمقراطية، لكن حيوية وإنتاجية هذه الصراعات لا يمكن أن تنمو إلا بالخضوع لقواعد اللعبة الديمقراطية التي تنظم التناقضات وتعوّض المعارك المادية بمعارك بين

الأفكار، فتحدد بواسطة الجدالات والإنتخابات من سينتصر مؤقتا بين تلك الأفكار المتصارعة، وفي المقابل من الذي يمتلك مسؤولية العمل على تطبيق تلك الأفكار" (موران، 2002، صفحة 103) **وهكذا فإن الديمقراطية عند إدغار موران ليست ديمقراطية إملاءات ولا تلك الديمقراطية التي يُدافع عنها بالسلاح والقمع بين السادة والحكّام، بل الديمقراطية تتطلب في آن واحد أن يكون توافق بين التعددية والصراعية، في نسق تغذي وتتغذى من إستقلالية الأفراد؛ وبالتالي فالديمقراطية هي الدواء الشافي الذي قرّه موران في الزمن الحاضر، ولكن ما لفت نظر المفكر الفرنسي أن هناك ديمقراطيات معاصرة معلولة ، وهي بالتأكيد وريثة الفكر الشمولاني الذي ساد وطغى القرن العشرين، فالديمقراطية التي تحيا من الصراعات قد تطغى عليها هذه الصراعات فتنتج توتاليتارية جديدة التي ما فتئت الديمقراطية أن تحاربها، ومن عيوب الديمقراطية أيضا " إذ لا يتم إستشارة المواطنين المعنيين حول البدائل الممكنة ... وتميل إلى نزع حق المواطنين من القرارات السياسية الكبرى بحجة أنها معقدة وتحتاج إلى خبراء ويمكن الحديث عن نزع التسيّس عن السياسة التي تتغلغل من تلقاء ذاتها في مجال الإدارة التقنية ... كل هذا يتسبب في تراجع رهيب مهول للديمقراطية إذ أصبح المواطنون معزولون عن مشاكل المدينة"** (موران، 2002، صفحة 106) **فالديمقراطية التي تحتفظ بحق التسلط وتهدم منابع التعدد هي ديمقراطية متسلطة ومستبدة، وتقصي المواطنين من حقوقهم في تسيير الشأن العام فمن الواضح أن الديمقراطيقة قد ولجت في أزمة خطيرة، هذه الأزمة التي كانت وليدة الإستبداد الذي غدا ناعما، يقصي الآخر بصورة ديمقراطية ويتصرف بالقرارات بحجة جهل المواطنين وعدم تمكنهم من إستعاب ما يحدث في الواقع السياسي، ولكن، بعد**

هذه الأزمة هل يعني أن الديمقراطية قد إضمحلت وتنافت؟ كيف كان منظور موران لمستقبل الديمقراطية؟

إن الممارسات اللاأخلاقية التي تمارسها المؤسسات الإعلامية التي أسست ما يسمى البروباغاندا السياسية والتي تستهدف الديمقراطية على وجه الخصوص، ولعل الكتاب الذي قدمه الكاتب النمساوي إدوارد برنايس: البروباغاندا كيف نسيطر على الأراء الديمقراطية، قد قدمت منظورا واضحا في الفصل السادس كيف تحكم الحكومات في كل الآراء السياسية التي تخرج إلى الواقع السياسي"(Bernays, 2007, p. 6éme chapitre) إن المشاكل التي وقعت في القرن العشرين قد أثرت بشكل واضح في الواقع الإنساني، ولكن ما يبدو -ما استشرفه موران- أن هذه المشاكل ستربو وستزيد حدة، وهذا بفعل التطور العلمي والتقني وارتباط الديمقراطية بهما، فهما -التطور العلمي والتقني- لم ينتجا فقط العلوم بقدر ما أنتجوا العماه أيضا فالتخصص الفائق وتجزء المعارف جعلت المعرفة نخبوية سامية غير عامة يختص بها مجموعة من الناس يوسمون أنهم هم العلماء والمحتكرون لكل ما ينتج وكذلك تكون هذه المعرفة ومجهولة الهوية؛ "توجد في أبناك المعلومات وتستعمل من طرف أجهزة مجهولة وعلى رأسها الدولة" (موران، 2002، صفحة 103) وبهذا يفقد المواطن الحق في المعرفة، صحيح أنه قد يكون له الحق في المعرفة المتخصصة، وذلك عبر إستخدام الدراسات المتخصصة لذلك، ولكن من تكن له إرادة في لم شمل المعرفة وتقديم رؤية واضحة المعالم اتجاه ما يحدث حقيقة، فهل ستكون له القدرة على ذلك؟ قد يتسنى للمواطن التفرع على سبيل التمثيل في صناعات شديدة التعقيد، مثل الأسلحة النووية، ولكن ليس من حقه إستخدامها، لكن هذه الممارسات من صلاحيات رئيس الدولة[وليس مقصود هنا ترك هذه الأسلحة دون مراقبة يستخدمها المخترعون والمختصين،

إنما أراد توضيح كيف أن هناك معارف غير متاحة للكل] حتى أن رئيس الدولة يستخدمها دون إستشارة الأجهزة القانونية المختصة لهذا، فكلما ولجت التقنية في عالم التقنية كلما ساهمت في تراجعها، فكيف تمكّن هاهنا رئيس الدولة من أخذ سلطة القرار في مثل هذه أمور دون إستشارة الهيئة التمثيلية على أقل تقدير ومن هنا أصبحت الديمقراطية تتغلغل في الأزمة أكثر فأكثر بيد أن المشكلة عند موران هاهنا ليست الحرب بل يؤكد على أن المشكلة أعمق أكبر مما نتصور ويقول "إن الهوة تتسع بين نزعة تقنو. علمية نخبوية وبين المواطنين، الأمر الذي يعمق أكثر ثنلئية العارفين الذين لا يمتلكون سوى جانب من المعرفة مجزأ بحيث لا يستطيعون إدراك سياق المعرفة ولا مقاربتها من منظور شمولي، والجاهلين يعني مجموع المواطنين، وهكذا يتم خلق شرخ اجتماعي جديد" (موران، 2002، صفحة 106) وهكذا يغدو لدينا طبقة نخبوية متحكمة في المعارف ومواطنين مقصيين عن دورهم السياسي، وهذا الدور السياسي يتم معالجته ويتم إختزاله في الجانب الإقتصادي والتقنية، واختزال الإقتصاد في مسألة النمو، وهكذا يتم إختزال معارف في أخرى وهذا كله يساهم في إضعاف المدينة وتأخير كل مسارات التقدم والتطور فمهما بلغت التقدمات العلمية من قوامات رئيسة إزدادت هوة الفراغ بينها وبين المنظورات السياسية والأخلاقية التي تعيشها المجتمعات التي تُقام فيها الديمقراطية؛وعلى هذا الأساس، من هذه المشاكل التي تخلقها التقدمات التقنية، يحاول موران التركيز عن كيفية إحياء الديمقراطية، هذه العملية الشاقة تستوجب إحاطة معرفية كافية بما يحدث في الراهن السياسي، فهي ليست عملية بسيطة تستهدف تغيير نظام سياسي، يقول موران، "إعادة إحياء الديمقراطية تفترض إعادة إحياء المدينة، كما أن إعادة احياء المدينة تفترض إحياء التضامن والمسؤولية، يعني حدوث تطور في مجال الأنتروبو. أخلاقية" (موران، 2002،

صفحة 107) فالرهان إذا عند موران أخلاقي بحت، فإحياء الديمقراطية يتطلب إحياء للإنسانية التي سقطت في فج التقنية، وموران الذي يحاول أن يونسن الحياة، وهنا نجد إستحضاره للمصطلح الهيدغري " العصر الكوكبي " بمصطلح إنساني شبيه هي المصير الكوكبي، ونحن نستحضر هاهنا فكرة مورانية أصيلة مفادها أن حتى البيروقراطية إذا كانت تعاني من أزمات فهي بذلك تشكّل تربة خصبة لقيم الديمقراطيات" (موران، 2019، صفحة 95) **إنه من أجل أن الديمقراطية هي ذات منبت أخلاقي محض إستطرد موران إمكانية قيام ديمقراطية حقيقية عبر ما يسميه إقامة أزمة في الديكتاتوريات التي تشكل الصيغة الموازية لها، فالتضامن وتحمّل روح المسؤولية للجميع، وبناء أسس للتواصل والعيش المشترك، كل ذلك كفيل بقهر أشكال الديكتاتورية وبناء ديمقراطية جديدة بعيدة عن كل أشكال الإستغلال والمساومة، الديمقراطية كنظام سياسي يكفل حق الجميع في المشاركة وبناء النظم السياسية والإجتماعية والأخلاقية. فالأخلاق هي رهان موران المستقبلي لبناء الديمراطية المركبة.**

4. خاتمة

لقد حاولنا في هذه المقابسة في نوع من التفكير مع إدغار موران أن ندرس مسألة إستشراف المستقبل إن ما يهمنا هاهنا بخاصة هو تبيان العلاقة المتبادلة بين الماضي والحاضر؛ التي تنجلي فيه أن ثغرات الماضي يمكن أن ترسم لنا الحاضر، كما أن معرفة الحاضر تمكننا من بلورة ومعرفة الماضي بشكله الملائم لأنه يشكل الحاضر، فأي تغيير في الحاضر هو تغيير في الماضي، وعلى هذه الشاكلة تنكشف العلاقة بين الحاضر والمستقبل، فالمعرفة الملائمة للحاضر تكشف لنا الطريقة المناسبة للتنبؤ بالمستقبل، ورسم الخيوط المناسبة لذلك، كما أن إدراك المستقبل على شكله الملائم حتى وإن كان غير خاضعا لإرادتنا أو ليس حاضرا أمام

أعيننا سيرسم لنا الحاضر، فهذه المنهجية التي كشف عنها موران في الفصل الثالث-إلى أين يسير العالم- من كتابه الضخم الموسوم من أجل الخروج من القرن العشرين، التي حددها موران ليصل إلى بلورة المنهجية التي يستكين فيها المستقبل للإستشراف العلمي الرصين، يبدو أن أصالة موران أنها تكمن في النقاط المنهجية التالية:

- الإتكاء على المنهجية التداولية لإستشراف المستقبل تأثير الماضي في الحاضر وتأثير الحاضر في الماضي، وتأثير الحاضر في المستقبل والعكس.

- تغلغل الأزمة في النظم المعرفية ما استدعى ضرورة لتطبيبها وهو ما عكف عليه موران متكئا على منهجيته

- وازن موران بين المنهجيتيين -التعقيد ، الإستشراف- لتبيان الأسس المعرفية التي توضح لنا كيف نقرأ الواقع.

- أزمة التربية كان النموذج الأول الذي أشرنا والذي طبق عليه موران منهجية الإستشراف، فتوصّل إلى أن الحوار هو الحل السامي الذي يستوجب علينا الإشتغال عليه وتفعيله.

- تعتبر الديمقراطية المركبة الدواء الشافي للعلل الإستبدادية والأزمة الديمقراطية والرهان الأخلاقي كان السبيل الذي إلتجأ إليه موران.

5. قائمة المراجع:

--إنجلز فردريك، دس، لودفيغ فويرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، تر: سلامة كيلة، مكتبة الشيوعيين العرب، https://foulabooks.com

- زاهر ضياء الدين، 2004، مقدمة في الدراسات المستقبلية مفاهيم – أساليب- تطبيقات،ط1، القاهرة، مركز الكتاب للنشر.

- كوبلستون فردريك، 2013،تاريخ الفلسفة من أوكام إلى سوريز، المجلد 3، تر: إمام عبد الفتاح إمام،ط1 المركز القومي للترجمة، القاهرة.

-موران إدغار،2009، إلى أين يسير العالم تر: احمد العلمي ،ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون

- موران إدغار،2018، في مفهوم الأزمة، تر بديع أبو ليلى،ط1، دار الساقي، بيروت.

-موران إدغار، 2020، العقل المحكم، تر المنصف الوناس،ط1، تونس، معهد تونس للترجمة.

-موران إدغار،2004، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، تر: احمد القصوار ومنير الحجوجي،ط1، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر.

-موران إدغار،2002، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، تر: عزيز لزرق ومنير الحجوجي،ط1، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر.

-موران إدغار ، 2019، السبيل لأجل مستقبل البشرية، تر: بشير البعزاوي، ط1، بيروت، منشورات الجمل.

-Eduard Bernays, 2007, Propaganda comment manipuler l'opinion en démocratie, tr :Oristelle Bonis, Paris, Editions la Découverte.

-Francis Dupuis-Déri, 2013, Démocratie ; histoire politique d'un mot aux Etats unis et France, Québec, Lux Humanté Editeur.

-Klimon Lycos,1987, Plato on justice and power,London,printing1, The Macmillan press.

-Mark Vezzey and others,2012, Augusitine's city of god A critical guide, New York , Cambridge University press

- *Wendell Bell, 2009 , Founadations of futures studies, Volume 1, printing 5, New York and London, Transaction Publishers*.